الغرفة الاخرى»[٦٨].

لم يبق من محتويات هذا البيت الاستثنائي غير الساعة؛ ساعة الحائط التي كان حامد قد جاء بها الى البيت «في تموز ما» ووجد أنها «تشبه نعشاً صغيراً». فلنذهب في ضوء الخطوات التي نتبعها الى التعرف على هذه الساعة ـ النعش.

الساعة ـ النعش

مثّل كل شيء في رواية «ما تبقى لكم» تنبثق الساعة، وتتشكّل حركتها الدلالية، من خلال أسلوب التداعي، وآلياته التي يتداخل معها كل شيء بكل شيء: الاحداث، والشخصيات، والمواقف، والأزمنة، والامكنة... الخ، تداخلاً يجعل من السرد الروائي مجالاً للغوص في أعماق الذات، وقلب الاشياء، ولبّ الزمان والمكان، وشاشة تعرض ما لا يُرى، وصوتاً يقول ما لا يُقال.. انه مجال البوح وانبثاقات الذات العميقة التي تكتشف نفسها وتكشفها، فتضيء ما يُعرض على الشاشة، وتعطي للصوت ايقاعه الخاص، ونبرته الدالة، ومغزاه العميق.

وللساعة التي هي أحد أبطال «ما تبقى لكم» صوتها الخاص الذي ينسرب في ثنايا السرد، ولا يترك فراغاً بين الكلمات الا ويسعى الى الاستقرار فيه، إنه صوت الزمن الميت، أو هو صوت الصمت الذي يشتبك على امتداد السرد مع صوت الزمن الآخر، الزمن المحشود بالحياة، ممثّلاً في خطوات حامد في قلب الصحراء، وهذا الاشتباك بين الزمنين هو ما يعطي للرواية مغزاها وصيرورتها؛ فهو خالق التوتر الدرامي، وهو المجال الذي تموت فيه الشخصيات أو تحيا، وهو الحيز الذي تتحقق فيه الهوية أو تضيع، يصبغ الانسان والاشياء والمفاهيم بصبغته، فإن كان حياً عاشت، وإن كان ميتاً تموت، ولكنه قبل ذلك، وبعده، مشروط برؤية الانسان له، وبفعله أو ثباته فيه، انه مشروط بوعي الانسان لوجوده في الوجود، وبتحولات هذا الوعي وماهيته.

عبر تداعيات مريم، وكلمات حامد التي تأتي محمولة على صوت تداعياتها كحوار مستعاد أو خطاب موجه لحامد الطالع من الماضي، أو الغائب في الحاضر، وكلمات زكريا المنسربة عبر تداعيات مريم، أو عبر كلماتها الموجهة إليه وهو نائم الى جوارها، قريباً وبعيداً كالموت، وعبر اشتباك وتداخل بين الضمائر: المتكلم والمخاطب والغائب، عبر ذلك كله، وفي سياق السرد الروائي، ينبثق حضور الساعة وتتبدى تجلياتها ومنظورات الرؤية اليها، ودائماً، عبر مريم وتداعياتها. وفي أول إشارة للساعة في سياق السرد الروائي، وعبر توجيه الحديث الى زكريا النائم الى جوارها بعد ان غادر حامد البيت، تقول مريم: «ليس ثمة من تبقى لي غيرك... وأنت تبدو بعيداً، رغم أنك في فراشي... تتركني وحدي أحصي تلك الخطوات المعدنية الباردة تدق في الجدار. تدق. تدق. تدق. داخل النعش المعلق أمام السرير ـ لقد اشتراها هو وحملها من السوق في تموز ما... ونظر اليها بين ذراعيه: «ساعة حائط، ولكنها تشبه نعشاً صغيراً، أليس كذلك؟» ودخلنا فاتجه مباشرة الى الغرفة التي كنا ننام فيها، كان المسمار الكبير مثبتاً مباشرة أمام سريره، فعلّقها، وأنا أسند له الكرسي. ثم نزل وابتعد وأخذ ينظر اليها برضى، الّا أنها لم تتحرك. فكّر قليلاً، فقلت له: «ربما تحتاج الى تعبئة» فرفع رأسه نافياً وقال: «أعتقد انها ليست مستقيمة. إن ساعة الحائط ذات الرقّاص لا تشتغل اذا كانت مائلة»، وصعد الى الكرسي مرة أخرى وأخذ يحرّكها ببطء، وكأنه يصوبها تصويباً. وفي اللحظة التالية بدأت تدق ولاحظنا معاً أن دقّاتها المعدنية تشبه صوت عُكّاز مفرد. وحين أعاد الكرسي[٦٩] الى مكانه سألته السؤال الذي كان يتوقعه: «بكم اشتريتها؟» وأجابني الجواب الذي لم أكن أتوقعه: «لم أشترها، سرقتها»، ومنذ ذلك اليوم،